أدهم عساف

صديق في العتمة ينقِذ لا يؤذي

الأخ أقرب أم الحبيب؟
-الصَديق.
منذ يومين كان هُناك محاولة انتحار، فتاة ساذجة في السابعة عشرة من عمرها لا تعرِف عن الفرحة إلا قليلا، تراكمت عليها الهموم بمعنى الكلِمة أدت إلى فقدان شيء غالٍ جدًا منها، فتكاثرت عليها أكثر وأكثر، تباعد عنها أصدقاؤها وعائلتها. . و. .
منذ يومين كان كُل ذلك سينتهي بمحاولة جادة منها بقطع أحد شرايينها من بداية يدها اليمنى وكانت قد جهزت كل شيء وجهزت آخر ورقة لها مكتوب فيها -أنا لستُ سيئة أنتم من فعلتُم هذا، أنا الآن في مكان أنقى- قبلها بعدة ساعات كانت تُحدث هذا الصديق:
- ازيك.
حينها شعر أن هُناك شيئا ما يحدُث لأن طريقة إلقاء التحية ليست هكذا بينهُما، فرد عليها بنبرة هادئة:
- أنا الحمدلله تمام، تعالي نخرج.
محاولًا إخراجها من ذالك الجو الذي يُسيطر عليها، سكتت لبرهة ثم قالت:
- معلش، خليها مرة تانية عشان أنا رايحة دلوقتي لأخويا أقعد معاه يومين أغير جو.
الصمت عَم المكان لمدة دقيقة منه ومنها ثم تابعت:
- بيني وبينك أنا رايحة أنتحر هناك، ششش خليه سر بينا.
جحوظ عينيه سيطر عليه وعيناه امتلأت بالدموع ولا يستطيع فعل شيء الآن فهي ستُغادر بعد بضع ساعات والمسافة بينهم بعيدة، لا يريد فعل شيء يؤذيها أكثر ولا أن يبعدها عنه فهو فكر في مكالمة والدتها وإخبارها

بما سيحدُث ولكن عم الهدوء فكره وبدأ يتحدث معها بمزح حتى يغير تلك الأجواء السيئة:

- يااااه أخيرا هتموتي وتريحينا بقي.

فجأة تغير لشخص جدي لا يعرف المرح لوجهة طريق:

- المحن اللي بتمري بيها دي كلها اختبار من ربنا، عايز يشوفك هاتعملي إيه وهتتصرفي ازاي، ليه حكمة في كده سبحانه وتعالى، غير كده هتموتي كافرة وأكيد مش هيبقى عذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة مش كلهم بعدوا عنك أنا جنبك هنا، سندك، ضهرك وأخوكي، راجعي حساباتك لأن اللي بتفكري تعمليه ده مش كويس.

لأول مرة كانت في إنصات تام وعدم الإلماح منها أنها ستكتب مرة أخرى لترد بها عليه، لكن في حزن قاتم:

- ميرضيش ربنا اللى بيحصل ده ولا يرضيك انت شخصيا.

رد قائلًا:

- ولا يرضي ربنا إنك تعملي في نفسك كده.

فتابعت:

- طب انت في رأيك أعمل إيه يعني؟!

مع نهاية كتابة تلك الرسالة كان أذان يقام من المسجد وكان الفجر فرد قائلًا:

- قومي نصلي الفجر.

وفي يوم غد عاد لها ذلك الشيء التي فقدته وعادوا أصدقاؤها وأهلها، وتلك النقط كانت تشير لحبيبها لأنه هو أيضًا لم يتحمل ذلك من كثرة تيهه بسبب ما يحدُث معها وعادت إلى حياتها الطبيعية بسبب صديق.